

تفسير ابن كثير

يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول : { الحمد لله } أي على نعمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبيأؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفى هم الأنبياء قال : وهو كقوله : { سبحان رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين } وقال الثوري والسدي : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين وروي نحوه عن ابن عباس أيضا ولا منافاة فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأخرى والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر أن يحمده على جميع أفعاله وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار .

وقد قال أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عمار بن صبيح حدثنا طلق بن غنام حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس { وسلام على عباده الذين اصطفى } قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاهم الله لنبيه بهم وقوله تعالى : { آخيرا ما يشركون } استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى : { أمن خلق السماوات } أي خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة وخلق الأرض في استفالها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والأطواد والسهول والأوعار والفيافي والقفار والزرع والأشجار والثمار والبحار والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك .

وقوله تعالى : { وأنزل لكم من السماء ماء } أي جعله رزقا للعباد { فأنبئنا به حدائق } أي بساتين { ذات بهجة } أي منظر حسن وشكل بهي { ما كان لكم أن تنبتوا شجرها } أي لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المنفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد كما يعترف به هؤلاء المشركون كما قال تعالى في الآية الأخرى { ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله } { ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله } أي هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المنفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى : { أإله مع الله ؟ } أي أإله مع

ا ىعبء وقء ءببب لكم ولكل ذب لب مما بعبرفون بب أبعأ أنه الخالق الرازق .
ومن المفسربن من بقول معنب قولة : { ألبه مع ا } فعل هءا وهو برعب إلب معنب الأول لأن
ءقءبر البواب أنهم بقولون لبس ءم أءء فعل هءا معه بل هو المءفرء بب فبقال فكبف ءعبءون
معه بربه وهو المسءقل المءفرء بالخلق والررزق والءءببر ؟ كما قال ءعالى : { أفمن بخلق
كمن لا بخلق } الابة وقولة ءعالى ههنا : { أمن خلق السمواء والأرض } { أمن } فب هءه الابه
كلها ءقءبره أمن بفعل هءه الأشياء كمن لا بقءر على شبع منها ؟ هءا معنب السباق وإن لم
بذكر الآخر لأن فب قوة الكلام ما برشد إلب ذلك وقد قال ا ءعالى : { آآ بخر أما بشركون }

ءم قال فب الابه الأخرى : { بل هم قوم بعبءون } أى ببعلون ءءلا ونظببرا وهكءا قال
ءعالى : { أمن هو قانء آناء اللبل ساجءا وقائما بءر الآرة وبرجو رحمة ربه } أى أمن هو
هكءا كمن لبس كءلك ؟ ولهءا قال ءعالى : { قل هل بسءوبى الءبن بعلمون والءبن لا بعلمون
إنما ببءكر أولو الألباب } { أفمن شرح ا صءره للإسلام فهو على نور من ربه فوبل للقاسبة
قلوبهم من ذكر ا أولئك فب ضلال مببب } وقال ءعالى : { أفمن هو قائم على كل نفس بما
كسبء } أى أمن هو شهبء على أفعال الخلق حركا ءهم وسكنا ءهم بعلم الببب بلبله وءقبره كمن
هو لا بعلم ولا بسمع ولا ببصر من هءه الأصنام الءب عبءوها من ءون ا ؟ ولهءا قال { وجعلوا
ا شركاء قل سموهم } وهكءا هءه الابه الكرbbe كلها